

غيره وقال مجاهد هي عامة . وقوله تعالى : ﴿الذي جمع مالا وعدده﴾ أي جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى : ﴿وجمع فأوعى﴾ قاله السدي وابن جرير ، وقال محمد بن كعب في قوله ﴿جمع مالا وعدده﴾ أهاه ماله بالنهار هذا إلى هذا فإذا كان الليل نام كأنه حيفة مننته .

وقوله تعالى : ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أي يظن أن جمعه المال يخلده في هذه الدار ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى : ﴿لينبذن في الحطمة﴾ أي ليلقن هذا الذي جمع مالا فعنده في الحطمة وهي اسم صفة من أسماء النار لأنها تحطم من فيها ولهذا قال ﴿وما أدراك ما الحطمة ؟ نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة﴾ قال ثابت البناني : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكي ، وقال محمد بن كعب : تأكل كل شيء من جسده حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده .

وقوله تعالى : ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ أي مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد . وقال ابن مردويه : حدثنا عبد الله بن محمد ، حدثنا علي بن سراج ، حدثنا حماد بن خرزاد ، حدثنا شجاع بن أشرس ، حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ قال : مطبقة . وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن أسد عن إسحاق بن خالد عن أبي صالح قوله ولم يرفعه . وقوله تعالى : ﴿في عمد ممددة﴾ قال عطية العوفي : عمد من حديد ، وقال السدي من نار ، قال شبيب بن بشر بن بكر عن ابن عباس ﴿في عمد ممددة﴾ يعني الأبواب هي الممددة ، وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود : إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة ، وقال العوفي ابن عباس : أدخلهم في عمد ممددة عليهم بعماد في أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب : وقال قتادة : كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار واختاره ابن جرير ، وقال أبو صالح ﴿في عمد ممددة﴾ يعني القيود الثقيل . آخر تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة ، والله الحمد والملة .

سُورَةُ الْفَيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّتِي تَرَكَيْتَ فَعَلَّ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفَيْلِ ﴿١﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنْ فَصِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ
حِجَارَةً مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فِجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُولٍ ﴿٥﴾

هذه من النعم التي امتنَّ الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ، وعموا أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم أنوفهم وخيب سعيهم وأضل عملهم ، وردهم بشرخية ، وكانوا قوما نصارى وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان حال القدر يقول : لم تنصركم يا معشر قريش على الحبشة لخبركم عليهم ، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشره ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء .

وهذه القصة أصحاب الفيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب : قد تقدم في قصة أصحاب الأخدود أن ذا نواس ، وكان آخر ملوك حير مشركا وهو الذي قتل أصحاب الأخدود ، وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين ألفا فلم يفلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام ، وكان نصريا ، فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة لكونه أقرب إليهم ، فبعث معه أميرين أرباط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم في جيش كثيف ، فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حير وهلك ذو نواس غريبا في البحر ، واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران أرباط وأبرهة ، فاختلفا في أمرهما وتصالوا وتقاتلا وتصافوا فقال أحدهما للآخر : إنه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيشين بيننا ولكن

أبرز إلي وأبرز إليك ، فأبنا قتل الآخر استقل بعده بالملك ، فأجابه إلى ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما قنأ ، فحمل أرباط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وشق وجهه ، وحمل عتودة مولى أبرهة على أرباط فقتله ورجع أبرهة جريحاً فداوى جرحه فبرأ واستقل بتدبير جيش الحيشة باليمن .

فكتب إليه النجاشي يلومه على ماكان منه ويتوعده ويخلف ليطأن بلاده ويجزن ناصيته ، فأرسل إليه أبرهة يترفق له ويصانعه ويحث مع رسوله بهدايا وتخف ويجراب فيه من تراب اليمن وجز ناصيته ، فأرسلها معه ويقول في كتابه ليطأ الملك على هذا الجراب فير قسمه ، وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ورضى عنه وأقره على عمله ، وأرسل أبرهة يقول للنجاشي إني سأبني لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها ، فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء عالية الفناء مزخرفة من الأرجاء سمتها العرب القليس لارتفاعها لأن الناظر إليها تكاد تسقط فلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها ، وعزم أبرهة الأشرم على أن يصرف حج العرب إليها كما يجمع إلى الكعبة بمكة ، ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك ، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً حتى قصدوا بعضها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها ليلاً ، فأحدث فيها وكر راجعاً ، فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة ، وقالوا له إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهت هذا به ، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجراً حجراً .

وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها ناراً وكان يوماً فيه هواء شديد ، فاحترقت وسقطت إلى الأرض ، فتاب أبرهة لذلك وسار في جيش كثيف عرمرم لثلاث يصدده أحد عنه ، واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة لم ير مثله ، يقال له عمود ، وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحيشة لذلك ، ويقال كان معه أيضاً ثمانية أفيال ، وقيل اثنا عشر فيلاً غيره فالله أعلم . يعني ليهدم به الكعبة بأن يجعل السلاسل في الأركان وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقي الحائط جملة واحدة ، فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جداً ورأوا أن حقاً عليهم المحاجة دون البيت ، ورد من أراد به كيد ، فخرج إليه رجل من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وخرابه ، فأجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم لما يريد الله عز وجل من كرامة البيت وتعظيمه وأسر ذو نفر ، فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه شهدان وناهس فقاتلوه ، فهزمهم أبرهة وأسر نفيل بن حبيب فأراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز .

فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذي عندهم الذي يسمونه اللات ، فأكرههم وبعثوا معه أبا رغال ليلاً ، فلما انتهى أبرهة إلى المغمس وهو قريب من مكة نزل به ، وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه ، وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب ، وكان الذي أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة ، وكان يقال له الأسود بن مقصود فهجاه بعض العرب فيما ذكره ابن اسحاق ، وبعث أبرهة حنيفة الحميري إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف قريش وأن يخبره أن الملك لم يجيء لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت ، فجاء حنيفة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال ، فقال له عبد المطلب : والله ما تريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة ، وإن يخلي بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه ، فقال له حنيفة فاذهب معي إليه ، فذهب معه .

فلما رآه أبرهة أجله ، وكان عبد المطلب رجلاً جميلاً حسن المنظر ، ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط وقال لترجمانه : قل له ما حاجتك ؟ فقال لترجمانه : إن حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي ، فقال أبرهة لترجمانه : قل له لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه ؟ فقال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه . قال : ما كان ليمنع مني . قال : أنت وذاك ، ويقال إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشرف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال نهماء على أن يرجع عن البيت ، فأبى عليهم ورد أبرهة على عبد المطلب إليه ، ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرفة الجيش ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو أخذ بحلقة باب الكعبة :

لا	هم	إن	المرء	يد	نع	رحله	فامنع	رحالك
لا	يغلبن	صليبهم	ومحالمهم	أبدأ	محالك			

قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال ، وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق فينتقم الله منهم ، فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة وهياً فيله ، وكان اسمه محموداً ، وعياً جيشه فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نقيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه وقال : ابرك محمود وارجع راشداً من حيث جئت ، فإنك في بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نقيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فضربوا في رأسه بالطيرزين وأدخلوا عاجنهم في مراحه فترعوه بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره وحجران في رجله أمثال الحمص والعدس ولا يصيب منهم أحداً إلا وهلك . وليس كلهم أصابت وخرجوا هارين يتدرون الطريق ويسألون عن نقيل ليدلهم على الطريق ، هذا ونقيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة ، وجعل نقيل يقول :

والأشرم المغلوب ليس الغالب

نعمناكم مع الأصباح عينا
لدى جنب المحصب ما رأينا
ولم تأسي على ما فات بينا
وخفت حجارة تلقى علينا
كان علي للحبشان ديننا

أين المفسر والإله الطالب
قال ابن إسحاق وقال نقيل في ذلك أيضاً
إلا حيث عانا يساودينا
ودينة لو رأيت ولا تربه
إذا لعذرتني وحدث أمري
حدث الله إذ أبصرت طيرا
فكل القوم تسأل عن نقيل

وذكر الواقدي بإسناده أنهم لما تعثبوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها ، فإذا وجهوه إلى الحرم رخص وصاح ، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم ، وطال الفصل في ذلك ، هذا وعبد المطلب وجماعة من أشرف مكة فيهم المطعم بن عدي بن عائد بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو الثقفي على حراء ينظرون ما الحبيشة يصنعون ، وماذا يلقون من أمر الفيل وهو العجب العجيب ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم طيراً أبابيل أي قطعاً قطعاً صفراً دون الحمام وأرجلها حر ، ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فحلقت عليهم وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا . وقال محمد بن إسحاق جاءوا بفيلين فأما محمود فربض وأما الآخر فشجع فحصب .

وقال وهب بن منبه : كان معهم فيلة فأما محمود وهو فيل الملك فربض ليقندي به بقية القبيلة ، وكان فيها فيل تشجع فحصب فهربت بقية القبيلة . وقال عطاء بن يسار وغيره . ليس كلهم أصابه العذاب في الساعة الراهنة بل منهم من هلك سريعاً ومنهم من جعل يتساقط عضواً عضواً وهم هاربون ، وكان أبرهة ممن تساقط عضواً عضواً حتى مات ببلاد خثعم وقال ابن إسحاق : فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أغملة أغملة حتى قدموا به صنعاء ، وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيها يزعمون . وذكر مقاتل بن سليمان أن قريشاً أصابوا مالا جزيلاً من أسلابهم وما كان معهم ، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة . قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجذري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رؤي به مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعسر ذلك العام ، وهكذا روي عن عكرمة من طريق جيد . قال ابن إسحاق : فلما بعث الله محمداً ﷺ كان فيها يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله مارد عنهم عن أمر الحبيشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ * ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴾ * وأرسل عليهم طيراً أبابيل ﴾ * ترميهم بحجارة من سجيل ﴾ * فجعلهم كعصف مأكول ﴾ * ﴿ لإيلاف قريش ﴾ * لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ * فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ * أي لتلا بغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها لما أراد بهم من الخير لو قبلوه .

قال ابن هشام : الأبابيل الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة . قال : وأما السجيل فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال : وذكر بعض المفسرين أنها كلمتان بالفارسية جعلتها العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سنج وجل يعني بالسنج الحجر والجل الطين . يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين . قال : والعصف ورق

الزرع الذي لم يقضب واحدته عصفه ، انتهى ما ذكره ، وقد قال حماد بن سلمة عن عامر عن زر عن عبد الله وأبوسلمة بن عبد الرحمن ﴿طيراً أبابيل﴾ قال الفرق ، وقال ابن عباس والضحاك : أبابيل يتبع بعضها بعضاً . وقال الحسن البصري وقادة : الأبابيل الكثيرة . وقال مجاهد : أبابيل شتى متتابعة مجتمعة وقال ابن زيد الأبابيل المختلفة تأتي من ههنا ومن ههنا أنهم من كل مكان ، وقال الكسائي : سمعت بعض النحويين يقول : واحد الأبابيل إيبيل .

وقال ابن جرير : حدثني عبد الأعلى ، حدثني داود عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه قال في قوله تعالى : ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ هي الأفاطيع كالإبل المؤبلة ، وحدثنا أبو كريب : حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ قال : لهم خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب . وحدثنا يعقوب بن إبراهيم : حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿طيراً أبابيل﴾ قال : كانت طيراً خضراً خرجت من البحر لها رؤوس كروؤوس السباع وحدثنا ابن بشار : حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير ﴿طيراً أبابيل﴾ قال : هي طيور سود بحرية في مناقيرها وأظافيرها الحجارة ، وهذه أسانيد صحيحة . وقال سعيد بن جبير : كانت طيراً خضراً لها مناقير صفر تختلف عليهم ، وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء : كانت الطير الأبابيل مثل التي يقال لها عنقاء مغرب . ورواه عنهم ابن أبي حاتم : وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبيد الله بن محمد بن أبي شعبة ، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال : لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة حجرتين في رجليه وحجراً في مناقره ، قال : فجات حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر ، وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعاً ، وقال السدي عن عكرمة عن ابن عباس : حجارة من سجيل ، قال : طين في حجارة سنك وكل وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا .

وقوله تعالى : ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ قال سعيد بن جبير : يعني التين الذي تسميه العامة هبور ، وفي رواية عن سعيد : ورق الحنطة ، وعنه أيضاً : العصف التين والمأكول القصيل يجز للدواب ، وكذلك قال الحسن البصري ، وعن ابن عباس : العصف القشرة التي على الحبة كالغلاف على الحنطة .

وقال ابن زيد : العصف ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فرائته فصار دريناً والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردمهم بكيدهم وغيبهم ، لم ينالوا خيراً ، وأهلك عاستهم ولم يرجع منهم نجر إلا وهو جريح كما جرى للكنهم أبرهة فإنه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء ، وأخبرهم بما جرى لهم ثم مات فملك بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة ، ثم خرج سيف بن ذي يزن الحميري إلى كسرى فاستمانه على الحبشة فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرأى الله إليهم ملكهم ، وما كان في آباتهم من الملك وجاءته وفود العرب بالتهنئة ، وقد قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان ورواه الواقدي عن عائشة مثله ، ورواه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : كانا مقعدين يستطعمان الناس عند أساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم .

﴿قلت﴾ كان اسم قائد الفيل أنيسا . وقد ذكر الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ، ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن وإنما بعث على الجيش رجلاً يقال له شمر بن مقصود ، وكان الجيش عشرين ألفاً ، وذكر أن الطير طرقتهم ليلاً فأصبحوا صرعى ، وهذا السياق غريب جداً وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره ، والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشي قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار . وهكذا روي عن ابن لهيعة عن الأسود عن عروة أن أبرهة بعث الأسود بن مقصود على كتبية معهم الفيل ، ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه ، والصحيح قدومه ولعل ابن مقصود كان على مقدمة الجيش والله اعلم . ثم ذكر ابن إسحاق شيئاً من أشعار العرب فيما كان من قصة أصحاب الفيل فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبيري :

كانت قديماً لايرام حريمها
إذ لا عزيز من الأنسام يرومها
فلسوف ينسب الجاهلين عليمها
بل لم يعش بعد الإيساب سقيمها
والله من فوق العباد يقيمها

تنكلوا عن بطن مكة إنها
لم تخلق الشمري ليالي حرمت
سائل أمير الجيش عنها ما رأى
ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم
كانت بها عاد وجهرم قبلهم

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري المدني :

ومن صنعه يوم فيل الحبو
عاجتهم تحت أقرابه
وقد جعلوا سوطه مفولا
فولى وأدبر ادراجيه
فأرسل من فوقهم حاصباً
يخص على الصبر أحبارهم
وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفي ، ويروى

إن آيات ربنا باقيات
خلق الليل والنهار فكل
ثم يجلو النهار رب رحيم
حبس الفيل بالمغمس حتى
لازما حلقه الجران كما قطر
حوله من ملوك كندة أبطال
خلفوه ثم ابذعروا جيماً
كل دين يوم القيامة عند الـ

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على الثنية التي تحيط به على قريش بركت ناقته فزجروها فألحت ، فقالوا خلأت القصواء أي حزنت ، فقال رسول الله ﷺ : «وما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال - والذي نفسي بيده لا يألوني اليوم خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أجبتهم إليها» ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخاري وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة : «إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنه قد عادت حرمتها بالأمس ألا فيبلغ الشاهد الغائب» . آخر تفسير سورة الفيل ، والله الحمد والمنة .



[ذكر حديث غريب في فضلها] قال البيهقي في كتاب الخلافيات : حدثنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا بكر بن محمد بن حمدان الصيرفي بمرو ، حدثنا أحمد بن عبد الله المدني ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت بن شرحبيل ، حدثني عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هيرة عن أبيه عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال : «فضل الله قريشا بسبع خلال : إني منهم وإن النبوة فيهم والحجابه والسقاية فيهم ، وإن الله نصرهم على الفيل ، وإنهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبد غيره ، وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن - ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لإيلاف قريش • إيلافهم رحلة الشتاء والصيف • فليعبدوا رب هذا البيت • الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ ① إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ

مِن جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ④